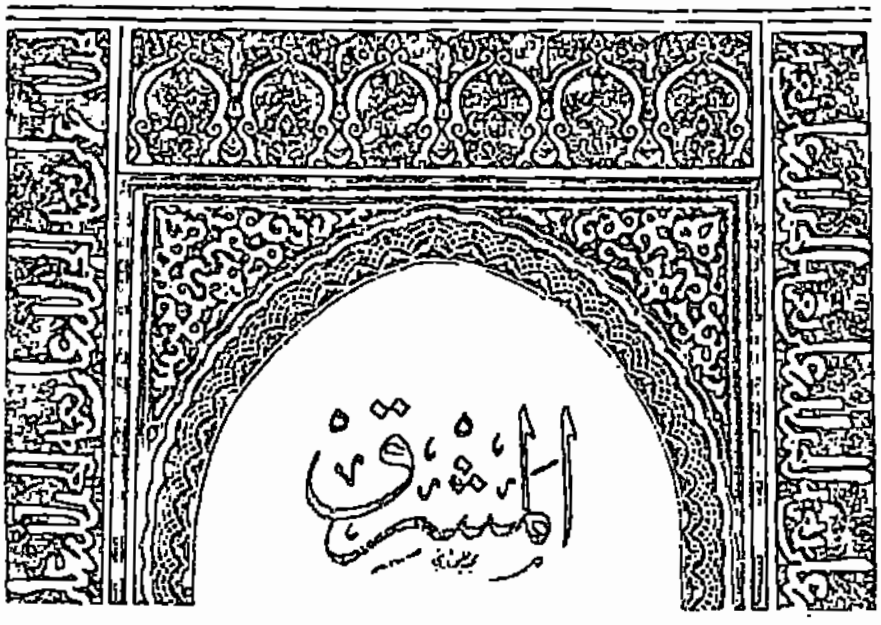

السنة السادسة والثلاثون — نيسان — حزيران ١٩٣٨

الاب جبرائيل لوقنك

١٨٦٨-١٩٣٨

ليؤلمنا بليغَ الألم أن ننعى الى قرّائنا ، واحدًا إثر واحد ، كبار القائمين على تحرير هذه المجلّة . فبعد ان فارقنا الاب يوسف مونجان في ١٤ كانون الثاني ١٩٣٧ ، تاركاً فراغاً واهياً في مجال وصف الكتب اللاهوتية والفلسفية ؛ أُصبنا في العشرين من الشهر نفسه بفقد الاب سبستيان رونزفال ، مَن دانت له ابحاثنا التاريخية والأثرية بالشيء الكثير منذ نشأة «المشرق» الى اليوم . وفي الثالث والعشرين من نيسان ١٩٣٧ ، استأثرت رحمة الله بمديرنا الأكبر الاب هنري لامنس ، بعد حياة مليئة بجليل الأعمال وخالد الآثار .

وها اننا ننعى اليوم رفيقاً للاب لامنس ملازماً في السنوات الاخيرة . توفاه الله بعد رفيقه بعام كامل فانتقل في ٢٢ نيسان ١٩٣٨ . هو الاب جبرائيل لوقنك اليسوعي .

وُلد الاب لوثنك في مرسيلية ، في ٢ كانون الاول ١٨٦٨ . ثم انتقلت أسرته الى ليون . فدخل فيها مدرسة الآباء اليسوعيين . وبعد ان اتمّ دراسته الثنوية باشر درس الحقوق ، ميّالًا الى التاريخ والأدب . ولكنه لم يتمّ هذه الدروس ، اذ لبّى الدعوة الكهنوتية ، فدخل دير ابتداء الرهبنة اليسوعية ، وقدم غزير سنة ١٨٩١ .

ثم ترامت به الواجبات الرهبانية من لبنان الى فرنسة الى انكلترة ، دارساً ، وناظرًا ، واستاذًا . الى ان رُسم كاهناً سنة ١٩٠٢ . وأُرسل الى مصر استاذًا للتاريخ والجغرافية سنة ١٩٠٨

واعادته ارادة الرؤساء الى لبنان سنة ١٩١٣ فعُيّن وكيلًا للمصروف في كلية القديس يوسف . واخذ يتابع دروسه التاريخية ، ولا سيما تاريخ الشرق الادنى .

وكان من اول العائدين الى الجامعة اليسوعية ، بعد الحرب ، فباشر تعليم التاريخ والجغرافية ، على ذاك الاسلوب الهادئ ، الرصين ، الحافل ببعض اللذعات احياناً ، الذي عرفه به تلاميذه العديدون في مصر من ١٩٠٨ الى ١٩١٢ ، وفي بيروت حتى آخر حياته ، كما عرفه به مرشحو البكالورية اللبنانية ، وكان من لجنتيا الفاحصة في مادّة التاريخ والجغرافية . وقد عُرف كذلك بالتدقيق الوافر في الامتحان والعدل الصارم في وضع العلامات ، كما عُرف باللطف المخلص يستقبل به كلّ زوّار المكتبة الشرقية ، دائباً على افادتهم في كل ما يرغبون ، منفقاً الساعات ، دون حساب ولا تذمّر ، في سبيل ما يطلبون من كتب او معلومات . حتى غدا مثالًا لمديري المكاتب ، عاملًا على ترغيب الشبّان في متابعة دروسهم ، فعلى رفع مستوى الثقافة في لبنان وسورية .

وهو ما قدرته له الجمهورية اللبنانية فاهدت اليه وسام الاستحقاق اللبناني ذا السعف تكريماً لذكراه بعد الوفاة ، واشارةً الى هذه الخدمات التي ادّاها في تدريس الطلّاب وتوجيههم وجهة البحوث العلمية ، كما ادّاها في آثاره العديدة منشورةً على حدة ، او في مجلّة المشرق .

اما منشوراته على حدة فاشهرها كتاب لتدريس المبتدئين باللغة الفرنسوية ، و«جغرافية سورية ولبنان» بالفرنسوية كذلك. وهو كرّاس مختصر نال انتشارًا واسعًا لأنه كان الاول من نوعه.

واما ابحاثه في مجلة « المشرق » فاوسع مجالًا واعمق اثرًا . كان يجمع بين التاريخ والجغرافية ، مهتمًّا على الغالب بتاريخ الشرق الادنى ، غير منصرف عن التاريخ العام ، في ما يراه مؤثرًا في هذه البلاد . فينشر الخلاصات الشاملة عن الحوادث العالمية[1] . ولا يفوته شيء من الحوادث الرابطة بين الحاضر والماضي . من هذا القبيل ابحاثه في « نهضة بولونية »[2] ، و«المائة الرابعة لوفاة ڤاسكو دي غاما »[3] ، و « التذكار المئوي لاحتلال الجزائر »[4] ، و « المؤتمر الجغرافي الدولي الحادي عشر في مصر »[5] ، وقد مثل فيه جامعة القديس يوسف . وكان آخر ما نشره من دروس بحث مهمّ تعاون فيه مع الاستاذ بوگوليوبسكي في « آخر مظهر لسياسة روسية الدينية في الشرق الادنى ١٨٩٥-١٩١٤ .»[6]

ولا بدّ من كلمة نخصّ بها عمله الدائب في درس « المطبوعات الشرقية الجديدة » ووصفها . كان مدير المكتبة الشرقية ، وكان واسع العلاقات كثير المعارف بين ارباب التأليف والطبع ، فكُلّف السهر على قسم المطبوعات الشرقية في مجلة «المشرق». فقام بوصف اهم هذه الكتب مدة سبع عشرة سنة متواصلة لا تملّه القراءة ، ولا يضجره ما يراه احيانًا من سخافات ، ولا يتعبه ذلك العمل المجهد في النقد ، والاصلاح ، وقول الحقيقة وان جارحةً غالبًا . حتى اختصّ بنوع من النقد يتعلّق بوصف ما في الكتاب وصفًا موضوعيًّا مجتًا مع الاشارة الناعمة اللطيفة الى المغالط والمزالق . وكان يدرس على الغالب كتب التاريخ والجغرافية ، ولا سيّما ما خصّ الشرق منها ، باللغات الفرنسوية ، والانكليزية ،

---

١) خلاصة تاريخ العام المنصرم (المشرق ١٩ [١٩٢١] ١١) – نظرة في سياسة العام المنصرم (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] ٦٠)

٢) المشرق ٢٠ [١٩٢٢] ٢٦٠

٣) المشرق ٢٣ [١٩٢٥] ٢٦٤

٤) المشرق ٢٨ [١٩٣٠] ٢٧٠

٥) المشرق ٢٣ [١٩٢٥] ٤٠١

٦) المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٥٧٤

والالمانية ، والايطالية ، والاسبانية ، وكتب الادب الفرنسي، والفلسفة العامة. ولا نبالغ اذا قلنا انه كان ينتقد في كل عدد من اعداد « المشرق » لا اقلّ من خمسة عشر كتاباً متنوعة الحجم والقيمة.

لم يكن الاب لوثنك عامر الجسم ، جيّد الصحة . انما حياته المنظّمة ، واعماله المرتّبة ، قادته الى السبعين دون تعب بالغ . وظلّ على اعماله المتباطئة شيئاً فشيئاً حتى مرضه الأخير. وكان ان زلّت قدمه في اخريات حياته ، فاضطُرّ الى السكينة في سريره مدة طويلة ظلّ في اثنائها يطالع وينتقد . حتى انطفأت حياته هادئاً كما عاش بالهدو. والسكينة ؛ تاركاً لجميع مَن عرفوه من طلّابه واصدقائه العديدين ذكر الكاهن الشفيق ، والاستاذ الصديق ، والمعاون الخبير اللطيف ، كما ترك للبنان ذكر محبّ وفيّ وقف حياته لخدمته ورفع مستوى الثقافة فيه .